



" فالثورات الأرضية حصيلة جهد إنساني محكوم بزمانه ومحكوم بمكانه ومحكوم بما هو أخطر بالحالة العقلية وبالحالة العاطفية والنفسية للإنسان المفكر ، لأن هؤلاء جميعاً تلون تفكير الإنسان وتجعله يسير باتجاه معين " " الثورة الفرنسية في الواقع كانت حصيلة اختمار ذهني وعقلي في المجتمع الغربي عموماً ، لكنها حين انفجرت أين ذهب الذين فكروا ؟ وأين ذهب الذين قدروا ؟ وأين ذهب الذين كتبوا ؟ "

"ونحن نفحص الثورات ، نجد أن الثورات عموماً كالهرة تأكل أبناءها ، فالذى يقوم بالثورة اليوم يمارس العنف على خصومه ، ولكن يجب ألا يغيب عن البال أن كل فعل يتطلب رد فعل يوازيه ويكافئه ، وهذا القانون صادق في الإنسانيات ، كما هو صادق في الطبيعة "

فصل جديد يستفتح في الشق السياسي من الثورة السورية وبعد مرور عامين على انبثاقها وانفجارها من درعا الأبية في 18 آذار 2011. حكومة مؤقتة حلم بها السوريون طويلا.

ربما منذ أكثر من خمسين عاماً، منذ انقلاب البعث المسؤول، وهاهي أخيراً تأتي بعد شد وجذب طويلان في السبيل إلى إدارة المناطق المحررة وضبط الأمن الثوري وتسيير أمور الناس المدنية بعد فوضى واضطراب لا يخفيان نتيجة غياب مظاهر الدولة عن كم كبير من المدن السورية.

بداية لا بد من الملاحظة أن تكوين صورة شبه متكاملة أو أقل وشبه دقيقة أو أقل عن الثورة لا يكفيه أن تكون نظرته من الداخل فقط، ولا من الخارج فقط، ولا يكفيه كذلك أن تكون نظرته من ثائر عامل على الأرض، ولا من متابع سياسي أو فكري من وراء الشاشات أو على مساند الطاولات والمكاتب، ولا يكفيه أيضاً نظرة من أحد معارضي وسياسيي الداخل، ولا من رواد قاعات المؤتمرات والفنادق وأروقة السياسة الخارجية والمحافل الدولية، بل هي خليط من كل أولئك بنظراتهم المختلفة حتى نرى صورة مثلثي لمواقف الثورة المختلفة الجزئية منها والكلية.

أعترف بأن تعقيبات هذه الثورة وتناقضاتها جعلت كل تحليل وكل رأي يحصر عن إدراك الحقيقة داخلها لذلك قلت للعديد خصوصاً من الإخوة العرب أن لا يتورطوا بحكم نهائي على مكون سياسي أو ثوري أو عسكري أو موقف ما من هذه الثورة كل سوى أنها ثورة حق عادلة يجب دعمها أما التفاصيل فهي بحاجة إلى مقاربات عديدة قد لا تستوضح بشكل نهائي إلى ما

بعد سنين طويلة على هذه الثورة.

قدمت الثورة حتى الآن ما يقارب الثمانين ألف شهيد موثقين بالأسماء وكم كبير منهم بالفيديوهات في عمل جبار قام به نشطاء وإعلاميو الثورة وقدم بسببه المئات منهم حياتهم ثمناً لهذا النقل والتوثيق.

العارفون بمسارب هذا العمل يدركون أن مالم يوثق هو مثل ما وثق إن لم يكن أكثر أيًّاً أننا نتحدث عن مائة وستين ألف شهيد والكثير الكثير من المعتقلين والمهجرين والمغيبين والجرحى والمتضررين، ثمن فادح دفعه الثورة السورية جعل العديد يسألون عن جدوٍ ما حادث كلٍّ تارةً وعن جدوٍ التسلُّح تارةً أخرى وعن جدوٍ عدم الحوار تارةً ثالثةً، مغيبين فكرهم عن سنن التدافع الكونية ونوميس التفاعلات الاجتماعية وطبيعة هذه الثورة اللاًّا مركبة والتي لا يسيرها إلاًّ قوة شعبية خفية وأخرى ربانية ظلنا كثيراً في أوقات سابقةً أنها انتهت فإذا بها تبرغ من جديد كالوحش ذو الرؤوس السبعة، كلما قطعت واحداً نماً آخر، وكطائِر الفينيق.. يفيق من الرماد دوماً وأبداً.

"أترى ظواهر الحياة الاجتماعية الإنسانية شيءٍ ينزل من السماء أو ينجم من الأرض مبتوت الصلة بما قبله مبتوت الصلة بما حوله أم الظواهر الاجتماعية حصيلة تفاعلات طويلة وعديدة ومعقدة تربط بينها عوامل شديدة التعقيد" أنت إذا حاولت أن تحاسب هذه الثورة أو تدينها على قرار أو تصرف فأنت تدينها كلًّا لأن لا قيادة ولا زعيم لها، وإذا حاولت أن تصمِّها بأنها مختطفة فأنت تسيء لها أعظم إساءة لأن لا أحد اخْتطفها ولا أحد يستطيع أن يسيطر عليها بعد أن غدت كمارد خرج من قمّق لا تستطيع أيّ قوى أرضية إعادته إليه.

لم تتخذ الثورة قرار التسلُّح ولا قرار رفع علم الاستقلال ولا قرار الخروج بمظاهرات ولا قرار مواصلة النضال بل هي تفاعلات لا إرادية مستمرة لا يمكن فهمها دائمًا وإنما بإمكاننا السير معها ومحاولة تقويمها قدر الإمكان وحصد ثمارها إن أحسناً ذلك. الثورة السورية المجيدة هي حالة فريدة قياساً حتى إلى الثورات التاريخية الأربع كما توصف (الفرنسية والروسية والأميركية والبريطانية) كما ونوعاً، فالمتبع لمسار الثورة السورية منذ انطلاقها وحتى اليوم يرى الانتشار الجغرافي والبنيوي العجيب والذي أزعم أنه لم يتكرر من قبل، فعلى الخارطة السورية الجغرافية لم يحدث أن انتشرت ثورة على كل هذه المساحة وبكل هذه المدن والنواحي والقرى، حتى بتنا نسمع بقرى لا يتجاوز عدد سكانها المئات تنتظَر أو تقاوم، وبال مقابل لم يدع النظام حتى أصغر قرية من بطيشه وقتلها والمجازر التي تفتك بالبشر والأبرياء

نعم للثورة جانب مظلم كما لكل ثورة وكل ظاهرة بشرية وتاريخية وكل حركة اجتماعية، والقارئ للتاريخ سيدرك ما نقوله، إلا أن الرماديين ومن أكرهوا على الثورة ووْجَدُوا أنفسهم قهراً في صفوفها يبحثون دوماً عن الإساءة للثورة والتقليل منها وطعنها في كل فرصة ومناسبة.

ما هو المطلوب الآن من الحكومة المؤقتة؟

1- ضبط الأمن في المناطق المحررة بعد تكرر حوادث السرقات والقتل والاشتباكات الجانبية والاستيلاء على الممتلكات والمنازل.

2- السيطرة على حقول النفط في المنطقة الشرقية التي أصبحت مرتعاً للصوص وتسبيب بهدر في الثروة الوطنية أولاً وبمشاكل صحية وبيئية هائلة.

3- توفير الأدوية والأطباء في المناطق المحررة وعلى جبهات القتال بعد أن وصل الأمر لكارثة خطيرة وانعدام لوجودهم ووفاة الكثير من الجرحى نتيجةً لهذا القصف.

4- توحيد وتنسيق التوزيع للمساعدات الإنسانية بإشراف وتوثيق حرفياً مباشر في المناطق المحررة وعلى النازحين في الداخل والخارج بعد أن أهدرت الكثير من هذه المساعدات وضاعت عن مساحتها.

5- الاهتمام بمشكلة النظافة والقمامة في المدن المحررة والإصلاحات الخدمية والبلدية المتعلقة بالمياه والكهرباء والسكن.

6- مواصلة الجهودة لتوحيد السلاح وضبطه بجيش تحرير وطني واحد تحت قيادة هيئة الأركان وتوفير السلاح النوعي لحماية المناطق المحررة من القصف.

7- تقديم وتسهيل الخدمات المدنية للمواطنين والنازحين من أوراق ومعاملات رسمية متعلقة بالشؤون اليومية.

8- الإشراف على الخدمات التعليمية وتقديم المناهج ووالمستلزمات الدراسية للطلاب في المناطق المحررة.

9- انتزاع الاعتراف الدولي بحكومة الثورة وتسهيل أوراق جوازات المغتربين وتمثيل السوريين في المنظمات الدولية.

10- والأهم من كل ذلك هو الالتزام بثوابت الثورة المتمثل في إسقاط النظام بكل رموزه وأركانه وعلى رأسه بشار الأسد وعائلته، والتأكيد على ذلك يأتي من باب عدم الثقة بالسياسيين وبكل تعهاداتهم بعد تجارب مرأة.

إلا أن هنالك عقبات ومشاكل كبرى تواجه هذه الحكومة المؤقتة أهمها ينحصر في:

1- الدعم المادي : وهو العامل الأهم الذي أنشأ الخلاف بين مؤيد ومعارض لهذه الحكومة المؤقتة التي ستفشل مؤكداً لو لم تلتقط التمويل اللازم لعملها.

الدعم الخارجي من الأصدقاء مهم جداً بالطبع، لكن يمكن للكفاءات في هذه الحكومة الجديدة ابتكار عدة وسائل من الداخل المحرر لتمويل عملهم وتبين هنا فكرة طرحها المعارض وزير النفط السابق عبد حسام الدين والتي قدر فيها إيرادات حقول النفط في المناطق المحررة بمائة وخمسين مليون دولار شهرياً. كما أن الأموال النظام المجمدة يمكن أن تعود لهذه الحكومة المؤقتة إن تم الاعتراف بها ودعمت دبلوماسياً بشكل فعال.

2- توحيد العمل العسكري فقيادة الأركان المشتركة وعلى الرغم من عملها الجاد تحت قيادة اللواء سليم إدريس فإن الجبهات الخمس الأكبر المقاتلة في سوريا وهي جبهة تحرير سوريا الإسلامية والجبهة الإسلامية السورية وجبهة الأصالة والتنمية وتجمع أنصار الإسلام وأخيراً جبهة النصرة بالإضافة إلى عشرات الكتائب الأخرى الأصغر حجماً وانتشاراً، كلها لا تعمل تحت قيادة الأركان ولا تلتقط أوامر تنظيمية منها وهذا ما يستدعي بذل المزيد من الجهد للوصول إلى تنسيق العمل العسكري بالحد الأدنى، ومن غير هذا التوحيد أو التنسيق لن تتمكن الحكومة المؤقتة من ترجمة الإنجازات العسكرية إلى انتصارات دبلوماسية وسياسية.

3- التحديات الأمنية: مثلت حوادث الاشتباكات الجانبية والاغتيالات والخطف والسرقات الكثير من المشاكل الخطير للثورة وحاضنتها الشعبية ولعل الحادث الأخير الذي جرى في حلب باشتباكات بين أحد الكتائب والهيئة الشرعية في المدينة والذي أسفر عن سته قتلى يؤشر إلى مدى الخطير الأمني في المناطق المحررة والتحدي الذي ستواجهه الحكومة هنا.

4- التواجد في الداخل: أولى الأنبياء الواردة بعد تشكيل الحكومة المؤقتة تشير إلى أن مقر هذه الحكومة سيكون في غازي عينتاب التركية-أي قريباً من الحدود- وحتى تباشر الحكومة تشكيلها وعملها يبقى وجودها في الداخل المحرر هو الأصل والأهم معنوياً وعملياً رغم معضلة الحماية من القصف والتي لن تستطيع حتى كتائب الجيش الحر أن تقدمه لافتقار الأسلحة النوعية والمضادات الجوية.

5- امتلاك السلطة: حكومة بلا سلطة لن تقوى على فعل أي شيء ولا على فرض القانون وبسط السيطرة، وتأتي حكومة "بيتو" إلى المناطق المحررة لتشاهد أمامها آلاف القوى المدنية والثورية والعسكرية والأمنية بتشتت بالغ وبلا أي عقد ينظمها ويعيدها إلى مرجعية واحدة، هذا هو التحدي الأكبر. كسب القلوب والعقول لفرض السيطرة ونيل الحاضنة الشعبية المعينة. بادرت صحيفة زمان الوصل الالكترونية إلى إنشاء حكومة ظل مؤلفة من عدد من الصحفيين والشخصيات مهمتها مراقبة هذه الحكومة المؤقتة وقياس أفعالها بما تقوله وتصرح به والتنبيه على مشاكله وأخطائها ولا بأس أن يكمل هذا موقع يختص بمراقبة أداء ووعود هذه الحكومة المؤقتة والتکلیف الكبير المنوط بها كالموقع الذي أنشأه نشطاء مصريون لمراقبة تحقيق وعود الرئيس مرسي.

متابعات عقبة

المصادر: